الإعلام والاتصال و حوار الثقافات

ا.د.سعيدي محمد
كلية العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية
جامعة تلمسان
البريدالالكتروني:msaidi45@yahoo.fr

1_مقدمة:

نسعى في هذه الدراسة إلى مساءلة البعد الفكري والثقافي و الحضاري والأخلاقي والسياسي والإنساني للاتصال ولعملية التواصل الإعلامي ودورها الكامن والممكن في ضمان حوار الثقافات وتقاربها وتعارفها و تعايشها .

وكما يبدو من العنوان ،فان هذه الدراسة ترتكز على ثلاث متغيرات موضوعاتية وهي: 1_الإعلام والاتصال،2_الحوار،3الثقافات.

و من باب الطرح المنهجي و البيداغوجي العلمي، بدا لنا ضروريا أن نبدأ بتعريف هذه المتغيرات والتي سوف تشكل المادة الخام لهذه الدراسة ،وذلك لما قد تشيعه من دلالات معرفية وثقافية واجتماعية وسياسية وحضارية.

2_تعريف الإعلام والاتصال:

في حقيقة الأمر، نحن أمام مصطلحين اثنين قد يكملان بعضهما البعض، وهما :الإعلام والاتصال، غير أن العرف المهني والدلالي قد جمعهما ليشكل منهما ميدانا وظيفيا واحدا، وهو ميدان الإعلام والاتصال.إن أصل كلمة الإعلام من فعل أعلم أي أخبر ونقل المعلومة والخبر للأخر،قد تكون المعلومة أو الخبر حدثا ما ،أو قصة ، أو خبر عادي

أو غير عادي.كما قد تكون المعلومة والخبر سارة أو حزينة وسيئة.وقد تكون مساحة الإعلام والإخبار محدودة وضيقة خاصة بشخص واحد أو مجموعة أشخاص ،كما قد تكون كبيرة و منتشرة . ويكون حجم المعلومة أو الخبر بحجم مساحة انتشارها.كأن يعلم إنسان إنسانا أخر عن خبر موت جاره أو قريب له،أو قد يخبر إنسان جماعة من الناس عن خبر انقطاع التيار الكهربائي في الحي لمدة معينة، وقد استقى الخبر من مصدر موثوق منه إداريا.أو قد يعلم إنسان جماعته عن زيارة الوزير لمدينتهم ،أو عن زيادة في أسعار المواد الاستهلاكية،الخ...أو كأن يخبر إنسان له دراية بالموضوع عن انضمام لاعب كرة القدم الشهير إلى فريق المدينة... وقد تكون هذه المعلومات وهذه الأخبار صحيحة ،كما قد تكون كاذبة ومن وحي وإبداع صاحبها ،أومن وحي الإشاعة .إن الإعلام في أبسط معانيه هو عملية نقل ونشر الأخبار سواء على المستوى المحلي الضيق أو على المستوى الجهوي والأكثر اتساعا...وقد تخرج هذه العملية عن الإطار العادي المحدود الخاص بالناس العاديين إلى إطار أكثر احترافية يقوم بها أناس مهنيون ومحترفون في عملية الإعلام المنظم ،والذين نسميهم رجال الإعلام من صحافيين وعمال المؤسسات الإعلامية من جرائد وإذاعات وقنوات تلفزيونية.

أما مصطلح الاتصال، فهو أصلا من فعل اتصل أي تقرب أو بحث من أجل الاتصال بالأخر القريب أو البعيد.أو البحث عن علاقة مع الأخر. وقد تكون هذه العلاقة وهذا الاتصال جسديا أو لفظيا لغويا أو معنويا أو فكريا وثقافيا أو روحيا ورمزيا. ولعل أهم محطة تثار في الحديث عن الاتصال هي تلك التي اقترنت بالصلاة والتي سميت صلاة لأنها تترجم اتصال العبد بربه وهو يؤدي صلاته وعبادته... أما من حيث الفاعلية الاتصالية الإعلامية والإجرائية ،فان الاتصال هو"الطريقة التي تتم عن طريقها انتقال المعرفة من

شخص لأخر حتى تصبح مشاعة بينهما ،وتؤدي إلى التفاهم بين هذين الشخصين أو أكثر. وبذلك يصبح لهذه العملية عناصر ومكونات ،ولها اتجاه تسير فيه ،وهدف تسعى إلى تحقيقه ،ومجال تعمل فيه ويؤثر فيها، مما يخضعها للملاحظة والبحث والتجريب والدراسة العلمية بوجه خاص."1

وقد لا يختلف مفهوم الاتصال من حيث الوظيفة والحمولة الاتصالية والتواصلية عن مفهوم الإعلام.فالاتصال من هذا المنطلق هو"نقل الأفكار والمعلومات والمهارات والاتجاهات والخبرات من فرد للأخر، ومن مجتمع للأخر، وهي تعني أيضا خطوط المواصلات وأجهزة الاتصالات كالمذياع والتلفاز والهاتف والأقمار الصناعية،الخ... والتي تستخدمها شرائح المجتمع العلمية والمهنية وغيرها كافة."2

ومهما يكن من أمر، لقد تم جمع بين المصطلحين في المجال الإعلامي الوظيفي المهني، وهما الإعلام والاتصال للحديث عن ذلك النشاط المهني في نقل المعلومات والأخبار إلى الناس عبر عدد من الوسائط الإعلامية مثل الجريدة والمذياع والتلفزيون والهاتف والانترنيت وغيرها من الوسائل الإعلامية التي أتت بها تكنولوجيا الإعلام والاتصال المتطورة.

3_تعريف الحوار:

:لعل أول سؤال يتبادر إلى الذهن وان كان يبدو تقليديا من حيث الطرح وربما عقيما من حيث الفائدة المعرفية نظرا لكثرة طرحه وتكراره في كل الدراسات وفي كل اللقاءات والمنتديات، هو ما معنى الحوار؟ وما هي أهدافه ؟سوف استعين بهذا التعريف للحوار للأستاذ محمد حمدي زقزوق حيث يقول "لقد أصبحت قضية الحوار في عالم اليوم قضية ملحة على جميع المستويات .فنحن نعيش في عصر تشابكت فيه المصالح ،وتعقدت فيه المشكلات على نحو لم يسبق له مثيل. وقد أصبح البحث عن الحلول لهذه المشكلات

عن طريق الحوار أمرا ضروريا. وقد يكون الحوار محليا أو إقليميا أو عالميا حسب طبيعة المشكلات المثارة، وعلى جميع الأصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها من مشكلات."3 إن مفهوم الحوار من حيث الطرح اللغوي والدلالي والوظيفي هو: الجواب أو الرد، والمحاورة المجاوبة، والتحاور التجاوب، ويتحاورون، يتراجعون الكلام، والمحاورة أيضا من مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة، وقد حاوره واستحار الدار، استنطقها من الحوار الذي هو الرجوع والحواريون صفوة الأنبياء الذين خلصوا لهم ، وتأويل الحواريين في اللغة: الذين أخلصوا ونقوا من كل عيب"4.

و نقرأ المعنى نفسه في المنجد في اللغة العربية المعاصرة: حاور محاورة وحوارا: جاوب- حاور فلانا جادل...حوار: تبادل الحديث والمجادلة والكلام: حوار بين متخاطبين- حواري: ما يكون على شكل حوار...محاورة: جدل يدور بين شخصين أو أكثر في موضوعات معينة". 5

وقد خص سماحة الشيخ محمد حسين فضل الله الحوار بدراسة قيمة من حيث الفاعلية الدينية الإسلامية حيث يقول عن الحوار وفق الدين الاسلم والذي هو أصلا دين حوار: "الإسلام دين الحوار الذي يطلق الفكر أن يفكر في كل شيء، ليتحدث عن كل شيء، وليحاور الآخرين على أساس الحجة والبرهان والدليل، ليعلمهم كيف يصلون إلى قناعاته وآفاقه بالكلمة الحلوة والأسلوب الطيب والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن"6.

ومهما يكن من أمر ،فان طبيعة الحوار "الجيد ينبغي أن يستند على الحب،فلا يمكن أن يتواجد في غيبة الحب القوي للعالم وللبشر. كما يصعب تواجده في جو من اليأس، أو عدم الإيمان بقدرة الإنسان في الابتكار والتغيير،فالخصومة الفكرية لا تعني الكراهية أو عدم الاحترام المتبادل، ولذلك فان الحوار الجيد ينبغي أن يولد وينمو ويتطور في ظل مناخ يحترم أراء الجميع ولا يسخر منها، ويحافظ على جو من الهدوء ويبتعد عن العنف والانفعال."7

4_تعريف الثقافة:

وقبل الحديث عن هذا الحوار الممكن والمرجو بين الثقافات عبر وسائط الإعلام والاتصال، بدا لنا ضروريا أيضا تعريف الثقافات ،ومفردها الثقافة، والتي تعد من المفاهيم الأكثر تعريفا والأكثر حضورا في العلوم الإنسانية والاجتماعية"8، والتي كانت منذ زمن طويل موضوع استثمارات علمية كثيرة .عرف مصطلح الثقافة تعريفات عديدة وقد أحصاها العلماء بأكثر من مئة وستين تعريفا. وقد لا يتسع المقام لذكرها ومناقشتها سواء من حيث الشكل أو المضمون . واختصارا للمسافة العلمية والمنهجية والموضوعاتية سوف نتبنى تعريف العلامة ادوارد تايلور والذي اعتمده أغلب الباحثين في مجال الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع الثقافي حيث يقول "أن الثقافة هي ذلك الكل المركب المعقد الذي يشمل المعلومات والمعتقدات والفن والأخلاق والعرف والتقاليد والعادات وجميع القدرات الأخرى التي يستطيع الإنسان أن يكتسبها بوصفه عضوا في المجتمع"9. كما يمكن ذكر بعض التعريفات المختصرة ،والتي قد تشكل الأرضية المعرفية والموضوعاتية لهذه الدراسة والتي نعتبر فيها ثقافة شعب من الشعوب هي لغته وعقيدته وشخصيته وهويته وتاريخه وذاكرته وحضارته وعاداته وتقاليده وفنونه وأشكاله التعبيرية المختلفة.كما أنه ينبغي أن "ينظر إلى الثقافة بوصفها مجمل السمات المميزة الروحية والمادية والفكرية والعاطفية،التي يتصف بها مجتمع أو مجموعة اجتماعية ،وعلى أنها تشمل إلى جانب الفنون والأدب طرائق الحياة وأساليب العيش معا، ونظم القيم والتقاليد والمعتقدات."10

5_الإعلام وحوار الثقافات:

ولعل أهم سؤال يفرض نفسه في هذا السياق ،هو السؤال المزدوج من حيث الفاعلية الوظيفية والدلالية والرمزية :

ـ كيف ومتى يكون الإعلام والاتصال وسيلة ومادة خام وأساسية لحوار الثقافات؟

ـ كيف ومتى يكون الإعلام والاتصال وسيلة ومادة خام وأساسية لصدام الثقافات؟

منذ البداية، نريد أن نصحح بعض المفاهيم التي انتشرت في الخطابات الإعلامية والسياسية وحتى الأكاديمية العلمية ،والتي أنتجت عددا من الأطروحات والعناوين مثل :حوار الثقافات ،وحوار الحضارات، وحوار الديانات ، أو صدام الثقافات، وصدام الحضارات ، وصدام الديانات. إن استعمال هذه العناوين وما قد تثيره من أفكار وأطروحات وقضايا قد لا يتعدى في حقيقة الأمر الطرح البلاغي المجازي من أجل قول دلالي أخر مفاده أن الثقافات والحضارات والديانات كائنات ووحدات معنوية وفكرية وروحية وسلوكية، لا تتحاور ولا تتصادم مهما كانت طبيعتها ،لأنها هي من وحي العقل البشري السليم والسوي، الذي خلق أصلا من أجل جلب الخير و إسعاد البشر أو الشعب ،سواء على المستوى المحدود أي خاص بشعب من الشعوب والذي أنتج أبناءه هذه الحضارة أو هذه الثقافة أو الشعب الذي أكرمه الله بهذا الدين.أو بعدد من الشعوب والتي كانت لسبب من الأسباب تابعة لهذا الشعب صاحب هذه الحضارة أو هذه الثقافة أو هذا الدين ، والتاريخ البشرية يزخر حيا بمثل هذه الأمثلة، فهي كثيرة و متعددة ، عرفتها شعوب كثيرة ،شرقا وغربا وشمالا وجنوبا. وإنما الصدام إذا كان هناك صدام،أو الحوار إذا كان هناك أيضا حوار ،فهو بين الفاعلين الأساسيين المنتجين والمبدعين والمستهلكين والممارسين والحاملين لهذه الديانات ولهذه الحضارات ولهذه الثقافات،فهم المتصارعون أو المتحاورون فيما بينهم بامتياز. وعلى هذا الأساس فان إطلاق و تبني مفهوم و تسمية حوار الثقافات ، لا نقول

عنها أنها خاطئة أو صحيحة ،ولكن قد يكون من الأفضل معرفيا وثقافيا ومنطقيا ومن الأصح والأسلم استعمال مكانها مفهوم حوار المثقفين المنتمين إلى ثقافات مختلفة تكون قريبة من بعضها البعض، أو بعيدة عن بعضها البعض ،وقد تكون عمودية في الزمن أي بين أجيال سواء في الثقافة الواحدة ماضيا وحاضرا ،كما قد تكون أفقية أي بين ثقافات للشعوب مختلفة.والأمر نفسه عن حوار الديانات،إن أصل الديانات وخاصة الديانات التوحيدية جاءت لتكمل بعضها البعض،ولتوحد بين المتدينين والمؤمنين بوحدانية الله، إن الديانات لا تتصارع أو لا تتنكر لبعضها البعض،فلم نقرأ لنبي سب وشتم نبيا أخر، ولم نقرأ في كتاب مقدس صحيح وسليم أساء لكتاب أخر، وإنما الصدام أو الحوار لا بد وأن يكون بين المتدينين ومعتنقي هذه الديانات.وقد لا يختلف عنوان حوار الحضارات عن حوار الثقافات وعن حوار الديانات، إن الحضارات سواء في علاقتها العمودية أو الأفقية لا تتصادم أبدا ،فهي وليدة ظروف فكرية وعلمية وثقافية وسياسية مختلفة ،ولكل حضارة إطارها الزمني والمكاني والبشري الخاص، ولكل حضارة منطق والذي هو منطقها الخاص، فهي قد تستفيد في بناءها وصيرورتها التاريخية من بعضها البعض، وقد تكمل بعضها البعض، ولكنها لا تتصادم، وإنما الصدام ،إذا كان هناك صدام ،أو حوار ،فهو بين المنتمين لهذه الحضارات المختلفة ،وذلك وفق منطق قائم على تحقيق المصالح المادية أولا وقائم ثانيا على عدد من النزعات العرقية والاثنية والدينية والسياسية والاقتصادية والثقافية.إن فكرة صدام الحضارات أو صراعها كما تغنى بذلك صموئيل هانتغتون في مؤلفه "صدام الحضارات" هي من الناحية العلمية مجرد وهم وفكرة غير معقولة، على تعبير محمد عابد الجابري "إذ يلزم أن تكون الحضارات أشبه بالصحون أو السيارات و ما إلى ذلك حتى يمكننا أ نتصور صدامها. ولكن هذه الفكرة على صعيد الاستيراتيجية السياسية والعسكرية

والثقافية تنطوي على نوايا وأهداف ، وبما أننا نحن كعرب ومسلمين في قمة المستهدفين فعلينا أن نكون على وعي بمضمونها وأهدافها، وأن نسعى إلى تعريتها وفضحها."11 .

ومن هذا المنطلق ، فان استعمال المفاهيم:حوار الثقافات وحوار الديانات وحوار الحضارات أو صدام الثقافات وصدام الحضارات وصدام الديانات، قد يكون من باب الاستعمال المجازي ليس إلا.وإنما الصدام أو الحوار هو بين البشر وبين الفاعلين الأساسيين من مبدعي و مفكرين ورجال السياسة والإعلام والاتصال وحاملي الفكر والثقافة واللغة والأخلاق والتاريخ والدين وغيرها من المظاهر الإبداعية المختلفة والتي قد تدعم وتطعم الثقافات والحضارات والديانات.

ومن هذا المنطلق ، فان حوار الثقافات هو " عبارة عن مشاركة الأفكار والآراء الثقافية المتنوعة بين فئات شعبية أو عرقية، ويؤدي ذلك إلى فهم الاختلاف بين الثقافات والعمل على تقريب الآراء معا من خلال توضيح التقارب الثقافي المبني على خصائص محددة مثل اللغات والأخلاق والتاريخ والدين وغيرها."12

يعيش العالم اليوم وبدون سابق إنذار تحت ضغط كبير لسلطة إعلامية قوية وعجيبة ومتنوعة من حيث الوسائل التقنية المتطورة ،ومن حيث المصادر والأشكال والمضامين والأهداف والمقاصد.يعيش إنسان هذا العالم ضغطا لا مثيل له في تاريخه الإعلامي والاتصالي. ولم يستطع المواجهة أو المقاومة ،ولم تكن له القدرة أو الحرية لغلق أبوابه ونوافذه وصيانة فضاءاته.لقد حاصره هذا الإعلام واقتحمه واقتحم فضاءاته المادية والمعنوية والسلوكية والثقافية إلى درجة الامتلاك والسيطرة . فأفقده حريته ولم يعد يتحكم في سلوكه وفي معاشه اليومي وحتى في قراراته وفي مشاريعه وفي كل تحركاته والتي أصبحت رهينة هذا الإعلام ووسائله وما يكشف عنه يوميا من أخبار سارة ومفجعة في الآن

نفسه.فلقد خلق هذا الإعلام في نفسية الإنسان المعاصر حالة من الخوف والتوتر والقلق نتيجة ما ينقله وما ينشره يوميا من أخبار مخيفة من هنا وهنا ك من كل بقاع المعمورة من حروب واعتداءات وإبادات وهجرات جماعية وجوع وعطش وأمراض خطيرة وفتاكة وكوارث طبيعية من زلازل وبراكين وغير ذلك مما قد يهدد حياة الإنسان أينما حل وارتحل،شرقا وغربا وشمالا وجنوبا، وكيفما كان حاله وأصله وجنسه وموطنه وعقيدته،لأنه وبكل بساطة لم يعد يحس أنه بعيدا عن كل هذه الأحداث،فهي قريبة جدا منه ولم تفصله عنها المسافات التي كانت في السابق،فكل البشر وكل الشعوب وكل المجتمعات أصبحت قريبة من بعضها البعض وفي قلب كل الأحداث أينما كانت، ولأنها وبكل بساطة تعيش في قرية كونية واحدة أو كما قال ذات يوم ماكلوهان أن العالم أصبح اليوم قرية صغيرة واحدة. ولعل ما أحدث هذا التحول الجغرافي والثقافي هو ذلك الإعلام القوي والذي لم يعد يعرف أو حتى يعترف بالحدود الجغرافية الكلاسيكية.

نتحدث هنا عن الإعلام بكل أنواعه وأشكاله سواء أكان مكتوبا أو مسموعا أو مرئيا. وان كان حضوره في المخيال الاجتماعي والثقافي الجماهيري مختلف وقعه وإيقاعه من حيث قوة الحضور والفاعلية والتأثير ،حيث أصبح لشكل الإعلام المرئي أكثر حضورا منه عن الأشكال الأخرى، وذلك يعود بالدرجة الأولى إلى سيطرة وسلطة الصورة والتلفزيون أكثر على الناس مقارنة مع ما قد تحدثه الوسائط الأخرى من الوسائل الإعلامية المسموعة وعلى رأسها الإذاعة والتي تقلصت مساحتها السماعية والمسموعة ،وكذا الوسائط الإعلامية المكتوبة والتي تراجعت في السنوات الأخيرة مساحتها المقروئية حيث أصبحنا نعيش تراجعا رهيبا في نسب القراءة عند الناس في مادة الصحف والمجلات لأسباب اقتصادية وحتى ثقافية وفكرية. وبصفة عامة ،سيطرت الصورة والتلفزيون على الساحة

الإعلامية وذلك نظرا للقوة التأثيرية للصورة ولسهولة تلقيها بالنسبة للجمهور العريض وكذا نظرا للتطور الهائل والعجيب لتكنولوجيا البث والإرسال الرقمي في مادة الصورة والتصوير. "فقلد جاءت الصورة لتكسر ذلك الحاجز الثقافي والطبقي بين الفئات من دوائر الاستقبال. وشمل ذلك كل البشر، لأن استقبال الصورة لا يحتاج إلى إجادة القراءة وهو في الغالب لا يحتاج إلى الكلمات أصلا. وهنا دخلت فئة لم تكن محسوبة على قوائم الاستقبال الثقافي. وأدى هذا إلى زعزعة مفهوم النخبة وصار الجميع سواسية في التعرف على ما في العالم واكتساب معارف جديدة والتواصل مع الوقائع والثقافات . فتوسعت القاعدة الشعبية للثقافة ، وهذا دور خطير تحقق مع الصورة حيث تكسرت الحدود والطبقيات والتمييزات . ومن هنا تداخلت إمكانات التأويل الثقافي حيث صار كل مشاهد يستقبل ويفهم ويفسر ما يراه دون حاجة إلى وسيط."**13**. وقد أهل هذا الواقع الثقافي والفكري والتكنولوجي وسائل الإعلام إلى القيام بدور ريادي في مجال نقل الأحداث والأخبار والمعلومات حيث ما قد يحدث في مكان ما من العالم ومن أحداث مختلفة قد تنقله في لحظة ذاتها وبسرعة كبيرة خارقة الحدود من أقصى المعمورة إلى أقصاها . ومن هذا المنطلق، " لم يعد التعامل مع وسائل الإعلام خيارا في ظل العولمة المتعددة الجوانب. ولم يعد ممكنا التفاعل مع القضايا الحياتية للناس بعيدا عنها ومن دونها.بل أصبحت عند البعض ، وعلى مختلف أنواعها حاجة أساسية في تطور المجتمعات ونموها. وفي المقابل ،يعتبرها البعض الآخر مسؤولة عن التوتر القائم بين الشعوب وتوسيع الهوة بين الحضارات والثقافات"**14**.

إن التقدم الهائل والعجيب لتكنولوجيات الإعلام والاتصال وما أفرزته من قيم ثقافية واجتماعية وحضارية واقتصادية غيرت من حياة الشعوب سواء المتقدمة والمتطورة أو

الضعيفة والمتخلفة .لقد كانت رسالة الإعلام والاتصال محملة عبر مسيرتها الإعلامية بخطابات وبرسائل متعددة ومتنوعة كما كان لها أعمق الآثار على طبيعة العلاقات الدولية بين الشعوب. فكانت أحيانا مادة خصبة للتقارب والتعارف والتعايش والاحترام والحوار وبناء جسور ثقافية واجتماعية واقتصادية وأخلاقية إنسانية عامة وشاملة. كما كانت في أحيان كثيرة أخرى مادة حية للتقاتل وللعداء وللكراهية وللبغضاء نتيجة ما تنشره وما تشيعه من أخبار ومعلومات مسيئة وخطيرة لا تبشر بالخير من حيث احترام الأخر المختلف والمخالف. وقد كانت هذه الوضعيات الاتصالية المتناقضة سببا في ظهور عدد من الجمعيات والمنظمات الثقافية والسياسية المحلية والجهوية والدولية تناضل من أجل ثقافة اتصالية وإعلامية نزيهة وشريفة تحترم فيها الشعوب وثقافتها وحقوقها بعيدا عن التجريح والإساءة و نشر ما قد يسيء إلى كرامة الإنسان كيفما كان وأينما حل وارتحل.وكما "هو معروف، فان العالم يطمح إلى تحقيق التوازن بين حرية الكلمة والتفكير ونقل الخبر وترجمته بموضوعية ودون تحيز.لذا تم تأسيس العديد من المنظمات والروابط والجمعيات الصحفية على مستوى إقليمي ودولي هدفها الأول والأخير الدفاع عن حرية التعبير ودرء ما يحمل بين طياته من عناصر دعائية يمكن أن تسبب في نشأة صراعات أو عنف على أساس ديني وطائفي و عرقي وغيره".**15**

إلى أي مدى يساهم الاتصال في تدعيم حوار الثقافات؟و كيف؟

ومن هذا المنطلق، فان الاتصال والإعلام من جهة ، والحوار من جهة أخرى قد يشكلان وجهين لعملة واحدة من حيث الكيان ومن حيث الوظيفة التفاعلية.فلا يمكن الحديث عن الاتصال والإعلام دون الأخر وفي غيابه.فالأخر هو أصل عملية الاتصال في حد ذاتها. فالاتصال ولد أصلا من أجل الأخر . فالبحث عنه والتواصل معه ونقل له الخبر أو

المعلومة ،كل هذا قد يضمن للانا الفاعلية الاتصالية والإعلامية والتي قد تكون ناقصة مبتورة في غياب الأخر، مهما كانت علاقته مع الأنا .فقد يكون مخالفا ومختلفا ولكنه يبقى جزء لا يتجزأ من العملية الاتصالية. أن فاعل الاتصال والإعلام هو أولا وقبل كل شيء محمل برسالة يسعى إلى تبليغها إلى الأخر ويسعى إلى محادثته والحديث معه والتقرب منه من اجل تبليغ الرسالة الاتصالية التواصلية. وهو أثناء بحثه عن الأخر، فانه يسعى إلى إثبات ذاته .إذا لا يمكن الحديث عن الاتصال وعن الحوار بدون وجود وحضور الأخر الذي قد يكون المرآة العاكسة للأنا .وعبر هذا الأخر ومن خلاله تعبر الأنا عن ذاتها وعن وجودها .ونشير إلى أن هذه التفاعلية الاتصالية والإعلامية قد تضمن سواء على المستوى الفردي أو الجماعي وسواء على مستوى الثقافة الواحدة أو على مستوى الثقافات العديدة والمختلفة الحوار والتقارب والتفاهم." ومن هذا المنطلق ،يصعب العمل على التقريب بين الثقافات وتعايشها أو تكامل الحضارات بعيدا عن إسهام وسائل الإعلام وتدخلها الايجابي، كما لا يمكن لأي حوار بين الحضارات أن يتم بعيدا عن فضاءات التفاعل التي يولدها التلاقي بين وسائل الإعلام التقليدية والجديدة"**16**.

ولا يمكن الاعتقاد أن هذه العملية التفاعلية هي عملية سهلة وبسيطة تقول للحوار كن فيكون. إن التفاعل الايجابي البناء والمثمر في نجاح العملية الإعلامية والاتصالية والرامية إلى إحداث حوار فعلي وحقيقي بين الثقافات يبقى في اعتقادنا على اقل مرهونا بجملة من الشروط المادية والمعنوية والسلوكية .

ومن هذا المنطلق ،قد نعتبر أن حوار ثقافات شعوب هو أيضا حوار عقيدة الشعوب، وحوار شخصية الشعوب، وحوار تاريخ الشعوب ،وحوار ذاكرة الشعوب ،وحوارلغات الشعوب، وحوار حضارة الشعوب ،وحوار عادات وتقاليد وفنون وأشكال التعبيرية المختلفة

للشعوب. فالثقافة هي أصلا وعاء معرفي يشمل العقيدة أو الدين والشخصية والهوية والتاريخ واللغة والذاكرة والحضارة والعادات والتقاليد والفنون والأشكال التعبيرية المختلفة. ومن ثم ،فان الحوار هو أيضا قد يشمل كل هذه المحطات وهذه المظاهر. وعلى هذا الأساس فان الحديث عن حوار الثقافات يمر حتما عبر محطات الدين والشخصية والتاريخ والهوية والذاكرة والحضارة واللغة. ولا يمكن الحديث عن حوار الثقافات إذا لم تراعى فيه كل هذه المحطات من حيث الفاعلية ومن حيث الاحترام والتقدير .ولعل السؤال الذي لا يزال يضغط علينا منذ البداية هو كيف يمكن بناء منظومة اتصالية وإعلامية تضمن سلامة حوار الثقافات؟ وللإجابة عن هذا التساؤل لا بد من القول أن الإعلام والاتصال كممارسة فكرية وثقافية وسياسية واقتصادية وفنية مرهونة فاعليته بعدد من العناصر الداخلية أي داخل الفعل الاتصالي والإعلامي من حيث البناء العام ومن حيث الممارسة وعناصر خارجية من حيث السياق الخارجي الاجتماعي والثقافي والسياسي والاقتصادي والعقائدي. وقد تتجلى هذه العناصر في نزعتين اثنتين وهما:النزعة الأخلاقية والنزعة الموضوعية.

6_النزعة الأخلاقية: يعد العامل الأخلاقي من أهم شروط عملية التفاعل الاتصالي والإعلامي من أجل حوار سليم بين الثقافات . ونعني بالنزعة الأخلاقية بمفهومها الواسع والشامل من حيث احترام الأخر وعدم الإساءة إليه وإلى دينه وعقيدته وشخصيته وهويته وثقافته وتاريخه وحضارته وعدم نشر أخبار ومعلومات تسيء إليه وتفادي السب والشتم والتجريح والتحقير.فلا بد من تطهير المادة الاتصالية والإعلامية من براثين الفكر النمطي المسيء للأخر ونعته نعوتا خاطئة وخطيرة والتي قد تكون سببا في الصدام والكراهية والحقد والعداوة والعدوانية والحروب. وفي هذا الصدد، قد نذكر نموذج الإعلام

الأمريكي وتعامله مع العنصر العربي والعنصر الإسلامي سواء كبشر أو كثقافة أو كعقيدة حيث يقول في هذا الموضوع ادوارد سعيد في كتابه الشهير "الاستشراق":" يحتل العربي المسلم في الولايات المتحدة الأمريكية مكانة بارزة في الإعلام،غير أنها تحمل قيمة سلبية، فهو مخرب يقاوم وجود إسرائيل والغرب في الشرق الأوسط، أو يقدم كعقبة أمكن تجاوزها لخلق إسرائيل سنة 1948، والتي تعتبر امتدادا حضاريا للغرب. ويرتبط العربي في الأفلام والتلفاز إما بالفسق أو بالغدر والخديعة المتعطشة للدم. ويظهر منحلا،ذا طاقة جنسية مفرطة، قديرا دون شك على المكيدة البارعة المراوغة لكنه–جوهريا– سادي، خؤون منحط، تاجر، رقيق، راكب،صداف، وغد، متعدد الظلال."**17**

ومن هذا المنطلق،لا يزال المجتمع المعاصر "مستمرا في السعي نحو المحافظة على التقاليد الصحفية التي لا تسمح علنا بالتجريح والتحقير والذم وإطلاق تعابير غير مقبولة اجتماعيا . و لعل مراجعة سريعة لإعلان المبادئ أو أنظمة القواعد الأخلاقية التي تصدر عن الأوساط الإعلامية ويعمل بها كقوانين تنظم العمل في المجال الإعلامي تكشف تماما عن مثل هذه المحظورات.فجميعها تدعو إلى تقديم المعلومات الموثوقة والموثقة، وعدم نشر أي شيء يمكن أن يحرض على العنف والتميز والكره".**18**

7_النزعة الموضوعية:تعتبر النزعة الموضوعية في السعي إلى الاتصال بالأخر وإعلامه والتحاور معه ضرورة منهجية وموضوعاتية وتواصلية أكيدة. فلا بد من معالجة القضايا الإعلامية بكل موضوعية بعيد عن الذاتية المفرطة والتي قد تفتح المجال لسلوكيات سلبية وسيئة تسيء إلى العمل الاتصالي والإعلامي أولا وقبل كل شيء ،كما قد تسيء إلى الأخر وخاصة إذا كان هذا الأخر هو أصلا موضوع هذه العملية الاتصالية .إن تبني الاحترافية والموضوعية في معالجة المادة الاتصالية والإعلامية ضرورة ملحة والتي قد تضمن نشر ثقافة

الثقة و الصدق بين المتواصلين والمتحاورين. وفي هذا الصدد نشير إلى أنه "قد تزداد أهمية الدور الذي تضطلع به الصحافة والاتصال والإعلام بصفة عامة في هذا الاتجاه عندما يتعلق الأمر بصورة الأخر .إذ تصبح الصحافة وغيرها من وسائل الإعلام أداة أساسية من الأدوات التي يعتمد عليها في إدارة الحوار في ما بين جماعات الثقافات المختلفة. وقد يتعدى دورها ذلك إلى محاولة إيجاد مساحات للصراع بين أجندة القضايا والقيم والأطروحات الخاصة بثقافة معينة في مواجهة ثقافة أخرى.في كل الأحوال تؤثر وسائل الإعلام من خلال ما تطرحه حول الأخر في التصورات التي يكونها الجمهور المتلقي لرسائلها الإعلامية حوله،سواء تحدد هذا الأخر في شعب له ما يميزه على المستوى العقائدي أو ألقيمي أو القومي أم تمثل في دولة أو إقليم أم حتى في مجرد مؤسسة أو شخصية من الشخصيات"**19**

قد تقرب وسائل الاتصال والإعلام بين الثقافات كما قد تلهمها المادة الخصبة للتفاعل والتلاقح والأخذ والعطاء ،لأننا نعتقد، أن أي ثقافة لا يمكنها أن تعيش منعزلة عن الثقافات الأخرى ، فهي إما تتفاعل معها تفاعلا ايجابيا أو تتصارع معها تصارعا سلبيا حربيا والذي قد يفتح المجال واسعا للتنافر والابتعاد والتخوف من الأخر الذي يصبح عدوا بامتياز .فلكل شعب ثقافة مرتبطة ارتباطا عضويا بتاريخه وبحاضره وبمستقبله.فالثقافة تولد من رحم الشعب وتنمو وتكبر وتتطور في أحضانه.فيظل محافظا عليها ملهما إياها الحياة والفاعلية لأنها جزء لا يتجزأ منه.فهي غذاءه الروحي والمعنوي والسلوكي . إن التفاعل الثقافي الايجابي قد يكون أصلا مادة خصبة لمد جسور الحوار والمحبة والتآخي والتقارب والتفاهم والتعايش السلمي بين الشعوب.

وعلى هذا الأساس،يعول المجتمع الدولي بمنظماته الإقليمية والدولية والمنظمات غير الحكومية ومؤسسات المجتمع المدني العالمية والمحلية على مشاركة وسائل الإعلام بمختلف أنواعها وانتماءاتها وتبعياتها في العمل على فتح الحوار والتلاقي بين المجتمعات والإسهام في التقريب بين حضاراتها وثقافاتها.**20**

لعل ما يمكن الإشارة إليه من حيث ضرورة تسخير الاتصال والإعلام من أجل حوار الثقافات هو لا بد من التحرر من الرؤية التحقيرية والتحنيطية لثقافات الشعوب وخاصة شعوب العالم الثالث والتي ظلت دوما وأبدا مادة حاضرة في وسائل الاتصال والإعلام الغربي بصفة عامة. لقد ظلت هذه الثقافات وهذه الشعوب ولمدة من الزمن رهينة وحبيسة رؤية كولونيالية ضيقة حين وصفتها بالبدائية والمتوحشة والمتخلفة ووصفت معها صاحبها بالهمجي والمتوحش والمتخلف والخشن والإرهابي والعنيف وغير المتحضر وعدو المرأة وديكتاتوري ومتعصب ومنغلق على نفسه وعاجز واتكالي وأمي وجاهل وخرافي في فكره وفي ثقافته. وفي المقابل وكرد فعل لقد ظلت الثقافات الأوروبية أيضا موضوع عنف وكراهية في وسائل إعلام واتصال العالم الثالث.فهي ثقافة المستعمر والمعتدي والمتسلط والامبريالي وحليف إسرائيل والرأسمالي المادي وناهب لثروات الشعوب الضعيفة ومصدر الشر وفاقد الأخلاق ...وأمام ثقافة التنميط وما قد يتميز به هذان النمطان المتصارعان والمتخاصمان وغير مقدرين لبعضهما البعض ،لا يمكن أبدا الحديث عن إمكانيات الحوار. فكل نمط إعلامي واتصالي يزخر حيا بالصفات الدنيئة والمدنسة للأخر. ومن ثم يبقى هذا الإعلام مادة خام للصدام وللصراع وللحرب حيث أن كل ثقافة وكل شعب متخوف من الأخر وكاره له والذي هو عدوه بامتياز.فلا يمكن الاقتراب والتقرب منه. وفي هذا الجو العدائي والمشحون لا يمكن أبدا الحديث عن حوار الثقافات وحوار الشعوب. وقد تشتد

النزاعات والمشادات والانتقادات الإعلامية الكلامية لتتحول إلى حروب حقيقية وتتحول معها الكلمة والقلم إلى رصاصة وبندقية ، ويتحول مع كل هذا الحب إلى كره وبغضاء والتعايش السلمي إلى حروب والحوار بين الشعوب وبين الثقافات إلى صدام ."ويجدر التأكيد في هذا المقام على أن استخدام المعلومات والاتصال بهدف فسح المجال أمام مختلف الثقافات للتعبير عن نفسها بكل حرية وبالطرق التي تناسبها أمر لا بد منه لترسيخ أسس التفاهم بين الشعوب والتعاطي والحوار بين الثقافات . وتمتلك وسائل الإعلام القدرة على تسيير هذا الحوار بين الثقافات ، فمن خلال التصدي للمواقف السائدة والمزاعم فيما يتعلق "الآخرين" وهم كثر،يمكن لوسائل الإعلام أن تتجاوز التصورات النمطية الموروثة وتبدد الجهل الذي يغذي سوء الظن بالآخرين وينمي الحذر منهم، ومن تم تعزيز روح التسامح والقبول بالاختلاف بحيث يصبح التنوع فضيلة وفرصة للتفاهم."**21**

وفي هذه الحالة بالذات يمكن القول أن وسائل الإعلام والاتصال ،قد تكون منبرا وفضاء ووسيلة من أجل بناء حوار ثقافي بين الشعوب قائم على الأخلاق واحترام الأخر وثقافته وعقيدته ولغته تاريخه دون الإساءة إليه أو احتقاره و طمس هويته هذا من جهة ،ومن جهة أخرى، فان هذا الإعلام بالذات يبقى مطالبا بالعمل من اجل تنقية وتطهير وتنظيف صفحاته وخطاباته وصوره من كل ما قد يسيء إلى ثقافات الشعوب وذلك بنشر أو كتابة أشياء سلبية وسيئة قد تكون سببا في نشر ثقافة الحقد والكراهية والبغضاء حيث أن كل شعب يسعى إلى حماية وكرمته وشرفه وثقافته و هويته و تاريخه ولغته وأخلاقه وعاداته وتقاليده والتي هي أصر جزء لا يتجزأ منه .

8_الخاتمة:

ومهما يكن من أمر ،فان الحديث عن حوار الثقافات يمر حتما عبر وسائل الإعلام والاتصال والتي تبقي الوسيلة الأكثر فاعلية لحمل الثقافات والسفر بها من منطقة إلى أخرى ومن شعب إلى أخر. فهي تسافر عبر الفضاءات ، فإنها تحمل تصورات الشعوب لبعضها البعض وعن بعضها البعض، وخاصة وان هذه الشعوب لا تتحدث عن نفسها فقط ،فهي أيضا تتحدث عن الأخر ، أي الصديق، و الجار القريب ،أو حتى البعيد جغرافيا. إن وسائل الإعلام أو السلطة الرابعة كما يحلو لبعض بتسميتها مجازا وذلك لقدرتها الفاعلة في تأثير وفي تغير الكثير من أحداث العالم وقد تستغل استغلالا مزدوجا .وقد يكون هذا الاستغلال في كثير من الأحيان متناقضا .قد تستغل لبناء جسور المحبة والاحترام بين الشعوب وبين الثقافات وذلك بنشر وبنقل أخبار ومعلومات قد لا تسيء إلى الأخر .فتطهر وتنظف مادتها الإعلامية من حيث الإساءة إلى هذه الشعوب وإلى ثقافتها و إلى دينها وعقيدتها وإلى تاريخها وإلى حضارتها وإلى عاداتها وتقاليدها وفنونها.كما قد تكون وسائل الإعلام والاتصال وسيلة قوية وفعالة في إشعال نار الحرب والفتنة والعداء ، وذلك من خلال ما تنشره من أخبار ومعلومات وصور سيئة وسلبية عن شعب من الشعوب.قد تسيء إلى دينه أو إلى ثقافته أو إلى تاريخه .فتصوره تصويرا غير أخلاقي أو تنشر عنه أخبارا كاذبة و مزيفة قد تسيء إلى هذا الشعب وتنعته نعوتا مسيئة له.

ومهما يكن من أمر، فان مسألة حوار الثقافات أصبحت ضرورة ملحة في خضم هذا التهافت الفكري والاديولوجي والتكنولوجي والذي أنتج لنا عالما خاصا ومميزا والذي أصبح يعاني فراغا رهيبا في مادة الأخلاق والسلم والحب والتآخي والحوار والتعايش السلمي. ولعل ما قد يمكن قوله في هذا الصدد من حيث الطرح الفلسفي والأخلاقي ، هو أن الإنسانية كادت أن تفتقد إنسانها أمام جبروت السلطة المادية للعولمة التي أرست

قواعدها المادية المتوحشة والمتوهجة الاديولوجيات الاستعمارية والشركات الكبرى العابرة للعالم والباحثات عن أسواق وعن الثروات مهما كان الثمن حتى وإن كان على حساب حرية وكرامة وأوطان الشعوب. فأمام هذا الوضع العالمي التعس والمتأزم فان مسألة حوار الثقافات وما قد تفتحه للشعوب العالم من احترام وتقدير لبعضها البعض وما قد تنتجه من ثقافة الحب والتآخي والتعايش السلمي أصبحت أساسية وضرورية وعلى هذا الأساس فلا بد من تسخير وسائل الإعلام والاتصال لهذه الرسالة النبيلة تسخيرا أخلاقيا وإنسانيا.

9_الإحالات و الهوامش:

1_محمد محمود حيلة:تصميم وإنتاج الوسائل التعليمية،دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ،عمان ،الطبعة الأولى ،2000،ص.50

2 _المرجع السابق،ص.48

3_محمد حمدي زقزوق:الإسلام والغرب-مكتبة الشروق الدولية-القاهرة الطبعة الأولى2005-ص.67

4_ابن منظور:لسان العرب،مادة حور.

5_المنجد في اللغة العربية المعاصرة:مادة حور،ص.343،الطبعة الثانية،دار المشرق،بيروت،2001

6_سماحة الشيخ محمد حسين فضل الله:الحوار في القرآن،قواعده،أساليبه معطياته، دار التعاون للمطبوعات،الطبعة الخامسة،بيروت،1987.

7_د.الهام عبد الحميد:المناهج و طرائق التعليم والتعلم –منظور ثقافي ،مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات،القاهرة ،الطبعة الأولى ،2010،ص.227

8_دنيش كوش: مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية-ترجمة منير السعيداني-مركز الدراسات الوحدة العربية –بيروت –الطبعة الأولى -2007

9_سامية الساعاتي:الثقافة والشخصية-بحث في علم الاجتماع الثقافي-دار النهضة العربية –بيروت -1987-ص.28

10_من نص ديباجة إعلان المنظمة العالمية للتربية والعلوم والثقافة(اليونسكو) حول "من التنوع الثقافي إلى التعددية الثقافية"الموقع:www.unesco.org

11مصطفى عبد القادر غنيمات:الحضارة والفكر العالمي،دار الثقافة للنشر والتوزيع،عمان ،الأردن ،2011،ص.300

12_مفهوم حوار الثقافات-موقع الالكتروني:mawdoo3com _تاريخ زيارة الموقع:04-05-2017

13_عبدالله الغذامي:الثقافة التلفزيونية-سقوط النخبة وبروز الشعبي_المركز الثقافي العربي_الدار البيضاء المغرب الطبعة الأولى -2004 –ص.ص.10و11.

14_تقرير حول حوار الثقافات في العالم-دراسة مسحية لصحف ودوريات انكليزية وألمانية وعربية –الفكر العربي للبحوث والدراسات-معارف-سلسلة كتب شهرية تصدرها مؤسسة الفكر العربي –العدد 04_2004 ص.151

15_صالح بريك:الكره أو اللاتسامح مع الأخر-منظور نفسي_اجتماعي_خطوات للنشر والتوزيع-الطبعة الأولى -2010-دمشق-ص.198

16_تقرير حالة حوار الثقافات في العالم:ص.292

17_ادوارد سعيد:(كتاب الاستشراق ص.287) .

18_ صالح بريك:المرجع السابق-ص.198

19_تقرير حالة حوار الثقافات في العالم:ص.170

20_المرجع نفسه:ص.203

21_(دور وسائل الإعلام في تعزيز الحوار بين الثقافات-الموقع الالكتروني www.unesco.org.،تاريخ زيارة الموقع:04_05_2017

ملخص:نحاول في هذه الدراسة الإجابة عن السؤال المزدوج والذي مفاده:كيف و متى يمكن أن تكون وسائل الإعلام والاتصال مادة خام وخصبة لحوار الثقافات أو لصدام الثقافات في خضم هذا العالم المضطرب والذي حاصرته تكنولوجيا الإعلام والاتصال من كل جهة وفي كل وقت.إن عدد الصدامات التي أحدثتها هذه الوسائل في العالم كثيرة. ولم تكن أبدا

بريئة.فهي محملة بفكر إيديولوجي صدامي ،وفي كل جهات هذا العالم الذي يقال عنه انه عالم الحداثة وعالم تكنولوجيا الإعلام والاتصال المتطورة.

Résumé :Dans cette étude nous avons essayé de répondre à une question doublement articulée à savoir :comment et quand les moyens d'information et de communication peuvent-elles être matière fertile pour le dialogue des cultures d'une part ,et d'une autre part, comment et quand ces mêmes moyens peuvent -elle être origine de conflit des cultures dans ce monde qui reste très mouvementé sous la forte et permanente pression de ces moyens d'information et de communication .Le nombre de conflits engendrés par ces moyens d'information et de communication d'une façon directe est très grand. Ils n'ont jamais été innocents ,ils ont été toujours porteurs d'une pensée idéologique conflictuelle, partout dans ce monde, appelé aussi monde de la modernité et de la technologie de l'information et de la communication.